

من سمات الفصاحة والبلاغة النبوية ﷺ

واصف الله جان *

إن البحوث والدراسات في مجال بلاغة القرآن تتوفر إلى حد كبير جداً في حين أن البحوث والدراسات حول البلاغة النبوية تقل عن ذلك نسبياً. فعلى الرغم من أن مرتبة البلاغة النبوية دون مرتبة البلاغة القرآنية، إلا أن بلاغة النبي ﷺ لا تقل أهميتها عن بلاغة كتاب الله. تحتل البلاغة النبوية الذروة العليا من البيان في الأدب العربي (١). والسبب في ذلك يمكن أن يرجع إلى أن تقديم تفسير الآيات القرآنية أمام المجتمع البشري والجنى يتوقف على بلاغة النبي ﷺ برمتها. ولو لم يكن كذلك، إلا ما كان ورد عن النبي ﷺ في مجال احتلاله بمكانة أفصح العرب، لكان ذلك من أجل البراهين وأقوى الحجج لعلو منزلته على البلاغة الإنسانية من جهة. ولكان ذلك سبباً كافياً لإجراء البحوث عنها من جهة أخرى. وانصراف جهد كثير من الدارسين إلى البحث في بلاغة القرآن الكريم وأشعار العرب، لذا عقدت العزم على أن يكون البحث امتداداً لتلك الثلة التي أثرت البحث في الحديث النبوي وإظهار أسرار بيانه وخصائص تراكيبه، ومحاسن بديعه.

كان العالم قبل ولادة النبي ﷺ يمجج في ظلمات من الفوضى والجهل والتأخر والانحطاط الخلقي والعقلي، حتى أذن الله تعالى لهذه الظلمات أن تنقشع، فكان ولادة ﷺ فجراً جديداً للبشرية من ناحية والبلاغة العربية من ناحية أخرى. فقد ولد ﷺ يتيم الأب فلما علم جده عبد المطلب فاض قلبه سروراً وسماء محمدًا، ثم أتت المراضع من البادية فأخذته حليلة السعدية فأقام سنتين في الصحراء ترضعه حليلة، وتحضنه ابنتها الشيماء، ويجدد هو ﷺ هواء الصحراء وخشونة البادية، ما يسرع به إلى النمو ويزيد في وسامة خلقه وحسن تكوينه، فلما أتم سنتين وآن فصاله رجعت حليلة إلى امه، لكنه خوفاً عليه من وباء مكة عاد مع حليلة ليبقى في ديار بني سعد بن بكر سنتين آخرين يرحم في جو باديتها الصحو الطلق لا يعرف قيداً من قيود الروح ولا قيداً من قيود المادة. ونمضي مع الزمن في سيره، حتى يبلغ أشده ويزيد على الأربعين فيختاره الله رحمة للعالمين (٢): **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذَنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا** (٣) ويتنزل عليه القرآن الكريم وحيا من السماء تعنوا لفصاحته الأعناق، ويسجد لبلاغته البلاء معجزة خالدة بنمط من البلاغة فريدة، فما قاموا له بل لقد بلغ من ثقة القرآن أن حكم عليهم بالعجز عن معارضته: **قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** (٤)، ومن المعروف الجلي أن التبليغ والإفهام وتمكين المعنى في نفس المتلقي من الغايات الجوهرية للقول البليغ، ولعل تعريف أبي هلال العسكري للبلاغة بأنها: كل ما تبليغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسه مع صورة مقبولة ومعرض حسن يرمي إلى هذه الغاية ويؤسس لها (٥). ويؤيده حديث النبوي حيث أكد رسول الله ﷺ على نزول الوحي الثاني عليه على شاكلة قوله: **ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه** (٦). بيد أن الفرق بين بلاغة الوحي الأول يعني القرآن وبلاغة الوحي الثاني يعني الحديث أن الأول معجز يتحدى به الجن والإنس وأما الثاني فهو بيان له.

* الباحث الدكتوراة ، القسم اللغة العربية، جامعة بشاور ، باكستان.

وإذا ما وضعنا القرآن جانباً، فإننا لانشك في أن حديث رسول الله ﷺ، يعتبر ذروة ما انتهى إليه كلام العرب بلاغة وروعة وإشراقاً، خلا من التكلف المسجوع والحوشي الثقيل، وهما آفة الكلام العربي في عصره تنزه عن الاختصار مع الحاجة، والتطويل بدون طائل، وقلما سلّم هذا الميزان باستقامة لغيره (٧). فقد قال أوس بن حبيب الضبي العالم بالأدب وإمام نخاة البصرة في عصره: "ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ (٨).

ولما كانت معجزة القرآن معجزة بيانية في المقام الأول، وقد بعث في أمة بليغة، صناعتها حياكة القول والتفنن فيه لا عجب أن يحتاج إلى التأثير وشدة الأخذ، ودعوة العرب إلى المدين وتأديبهم بأدبه، ودفعهم لمحاربة أعدائه، فكان من الله أن أيده بمعجزة أخرى هي بلاغة لسانه، وقوة بيانه، فكان على غيره ما يعهد العرب في فصحتهم ومناطقهم لا عجب أن يؤخذوا بحديثه الجامع، وبيانه الساحر وبلاغته المتدفقة، وفصاحته المتمكنة، وتلك حقيقة يقرها النبي ﷺ اعترافاً بنعمة الله "أنا أفصح العرب بيد أي من قريش (٩) وفي رواية أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أي من قريش (١٠). كان الرسول ﷺ يتكلم بكلام بيّن واضح، لو أراد مستمعه أن يعيده لأمكن ذلك، فتقول عائشة: إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم (١١) ولكنه كان يتكلم بكلام بيّن فصل يحفظه من جلس إليه (١٢) والسرد معناه: متابعة الكلام على الولاء والاستعجال به، وقد يراد به أيضاً جودة سياق الحديث، وعن عائشة أيضاً قالت: كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً يفهم كل من سمعه (١٣) وفي رواية عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحدث حديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه (١٤). وعن أم معبد قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صمت فعليه الوقار، وكأن منطق خرزات نظم يتحدث، حلو المنطق لانز ولا هذر (١٥). وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا تكلم رأي كالنور من ثنياه (١٦) وعلى الرغم من فصاحة أسلوبه وبلاغة كلامه قد يكرر الرسول ﷺ كلامه ثلاثاً، روي عن أنس بن مالك قال: "كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه (١٧).

وعن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافاً قلت: صف لي منطق رسول الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الاحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة، وإن دقت لا يذم منها شيئاً غير أنه لم يكن يذم ذواقاً، ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا، ولا ما كان لها، فإذا تعدى الحق لم يغم غضبه شيئاً حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها. إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا اتصل بها ضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى. وإذا غضب أعرض، وأشاح، وإذا فرح غص طرفه، جل ضحكته التبسم يفتر عن مثل حب الغمام (١٨).

وكان ﷺ يتجنب جميع أسباب الغموض من التقعر في الكلام، والإغراب في الحديث، وفي طريقته في إيفهام سامعيه، وهذه سمة بارزة في كل كلامه وبيانه. وكان رسول الله ﷺ يعطي الكلام ما يستحق من اللهجة حتى إن ما يختلج في صدره كان يبدو على وجهه، ووصفه جابر: كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم (١٩). وكان لحركته وإشارته موضع كبير في إجادة الأداء، فحركته معبرة تستلفت النظر وتنبّه الغافل وتعين على الحفظ والتذكر، فإذا أراد ذكر القلب مثلاً أشار إلى صدره كما في قوله ﷺ: التقوى ههنا (٢٠) وإذا أراد الملازمة أشار بسبابته والتي تليها، كما في قوله ﷺ: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا" وأشار بالسبابة والوسطى (٢١). اختار الرسول ﷺ كل هذه الإشارات والحركات لتوضيح فكره وتكميل

غرضه.

قال الأستاذ عباس محمود العقاد: إن السمة الغالبة على أسلوب النبي ﷺ في كلامه المحفوظ بين أيدينا هي سمة الإبلاغ قبل كل سمة أخرى، بل هي السمة الجامعة التي لا سمة غيرها. لأنها أصل شامل لما تفرق من سمات هي منها بمثابة الفروع. وكلام النبي ﷺ المحفوظ بين أيدينا إما معاهدات ورسائل وإما خطب وأدعية ووصايا وأجوبة عن أسئلة كتبت بعد حينها وروعت الدقة في المضاهاة بين رواياتها جهد المستطاع. والإبلاغ هو السمة المشتركة في أفانين هذا الكلام جميعاً، حتى ما جرى منه القصص أو مجرى الأوامر إلى المرؤوسين أو مجرى الدعاء الذي يلقيه المسلم ليدعو الله على مثاله (٢٢).

كان الرسول ﷺ يستخدم اللغة كما يشاء فقد امتلك ناصية اللغة امتلاكاً تاماً، وكان أقدر العرب وصفاً وبياناً وفصاحة وبلاغة، وكان يختار للتعبير أفضل الألفاظ والعبارات ويخاطب كل قبيلة بلسانها وأسلوبها ولهجتها ويحاورها بلغتها على اختلاف لغات العرب. فقد روي عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ أفصح الناس، كان يتكلم بالكلام لا يدرون ما هو حتى يخبرهم (٢٣). وروي عن علي قال: ما سمعت كلمة غريبة من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله ﷺ. وعن عبد الله بن عتيك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من خرج من بيته مهاجراً في سبيل الله عز وجل ثم قال بأصابه هؤلاء الثلاث الوسطى والسبابة والابهام فجمعهن وقال واين المجاهدون فخر عن دابته فمات فقد وقع أجره على الله أو مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله عز وجل والله انها لكلمة ما سمعتها من احد من العرب قبل رسول الله ﷺ فمات فقد وقع أجره على الله ومن قتل فقتل فقد استوجب المآب (٢٤). ويقول عطية السعدي: "قدمت على رسول الله ﷺ فلما رأي قال: ما أغناك الله، فلا تسأل الناس فإن اليد العليا خير هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة فان مال الله مسؤول ومنطي قال: فكلمنا رسول الله ﷺ بلغتنا (٢٥).

وقوله ﷺ لكعب بن عاصم الأشعري: ليس من امير ام صيام ام في السفر (٢٦) وهذه لغة صحيحة وأكثر ما تكلم به الأشعريون وهي في الغالب بمنية والأشعريون من اليمن. وإنما تكلم به رسول الله ﷺ رغبة في البيان وحسن التعليم والإفهام لهم بلغتهم. وهذه الظاهرة نراها واضحة كل الوضوح في الرسائل التي أرسلها الرسول ﷺ إلى القبائل النائية في الجزيرة ممن لا ينطقون بلغة قريش، فمثلاً لما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب فخم اللفظ لما عرف من فضل قوتهم على فهمهم وعادتهم لسماع مثله، كتب لوائل بن حجر الكندي: إلى الأقبال العباهلة والأرواع المشاييب من حضرموت بإقام الصلاة المفروضة، وأداء الزكاة المعلومة عند محلها. على التبعة شاة، لا مقورة الألباط، ولا ضناك. وأنطوا الثبجة. وفي السيوب الخمس. ومن زنا مم بكرا فاصعقوه مائة، واستوفضوه عاماً، ومن زنا مم ثيب فضرّجوه بالأضاميم، ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام وائل بن حجر يترقّل على الأقبال (٢٧).

كان رسول الله ﷺ أوجز الناس كلاماً، كان يتكلم بالكلام القليل يجمع فيه المعاني الكثيرة. ولقد كان ﷺ مثلاً في كلامه ودعائه إلى المعاني الواسعة العميقة التي تصاغ في ألفاظ قليلة يسيرة فقد أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: اللهم ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (٢٨). وفي رواية عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم

ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون (٢٩). والمراد من الإيجاز: إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ. وقال الطيبي: الإيجاز الكلام في إشباع من المعنى، فالكلمة القليلة الحروف منها تتضمن كثيراً من المعاني وأنواعاً من الكلام (٣٠). وعن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي قال أبو عبد الله وبلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأميرين أو نحو ذلك (٣١). وكان عليه الصلاة والسلام يكره الثثرة وفضول الكلام ومن ذلك قوله ﷺ: ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً الموطون أكتفاً، الذين يألفون ويؤلفون (٣٢)، ألا أخبركم بأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة؟ الثرثارون المتفيهقون (٣٣)، وإن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم (٣٤). وقوله ﷺ: (إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل البقرة بلسانها) (٣٥) ويذكر أن أعرابياً تحدث عند رسول الله ﷺ وأكثر الكلام، فقال عليه الصلاة والسلام: كم دون لسانك من حجاب؟ فقال: شفتاي وأسناني، فقال له: إن الله يكره الانبعاث في الكلام، فنصّر وجه امرئ أوجز في كلامه واقتصر على حاجته (٣٦)، والانبعاث هو الاندفاع في الكلام بشدة والإكثار منه. والإكثار والإسهاب والتطويل قد ينم على التكلف والتعمّل والتنطع وهو ﷺ أبعد الناس عن التكلف والتعمّل والتنطع. قال تعالى: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٣٧)، وقال ﷺ: هلك المتنطعون أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم (٣٨). وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: اقتتل امرأتان من هزبل، فرمت أحدهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى الرسول ﷺ، فقضى رسول الله ﷺ أن دية جنيها غرة عبد أو وليدة، فقال حمل بن مالك بن النابغة الهزلي (يا رسول الله، أغرم من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، مثل ذلك يطل) فقال رسول الله ﷺ: "هذا من إخوان الكهان" (٣٩)، وليس في هذا الحديث تحريم للسجع كما ذهب بعضهم، فإن في السجع المقبول المعتدل تحسناً وتجيئاً للكلام، ولكنه نحى عن التكلف، وتقليد كهان الجاهلية الذين يصنعون السجع صناعة. والدليل على ذلك أن هنالك ضرباً من ضروب التقفية لجأ إليها الرسول ﷺ تزييناً للكلام، ومحاولة لخلق نوع من التأثير البلاغي في السامعين. روى أنس بن مالك وسهل بن سعد أن الرسول ﷺ قال: (اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة، فقالوا مجيبين:

نحن الذين بايعنا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً) (٤٠)

وروى البراء بن عازب عن الرسول ﷺ أنه قال: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب) (٤١)، وروى المغيرة بن شعبة عن الرسول ﷺ أنه قال: (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، وواد البنات، ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال) (٤٢). وهذا وأشباهه قصد لتزيين الكلام، وتيسير حفظه ولكنه من التكلف المقيت بمعزل. وما كان رسول الله ﷺ ليأمر أصحابه بالإيجاز وعدم التكلف ثم يأتي من هذا شيئاً، وهو الناصح الأمين الذي لا يخالفهم لما ينهاهم عنه. ولقد سمع أصحابه الميامين نصيحته وعملوا بها، واجتهدوا غاية الاجتهاد في الاقتداء بهديه وأتباع سبيله. وقيل لعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: "أدع لنا فقال لهم، اللهم ارزقنا وارحمنا قالوا: لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن"، قال: أعوذ بالله من الإسهاب (٤٣). والإكثار والإسهاب والتطويل قد

تنم على قلة الاكتراث بالكلمة، وقد يدل على عدم المبالاة بالقول، ولقد كان ﷺ أشد الناس إحساساً بقيمة الكلمة فكان يزن الكلام وزناً وهو المدرب على الشعور بالمسؤولية، والقيام بما وهو الذي يعلم أن العين تنزي وزناها النظر، وأن اللسان يزي وزناه النطق، وهو الذي يعلم أن الإنسان مسئول عن ألفاظه وكلماته؛ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (٤٤)، وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم (٤٥)، وإن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين منها يزل بها في النار أبعد من المشرق والمغرب (٤٦). وكان يوصي بالإيجاز في الكلام ويرغب فيه، ومن ذلك قوله لجرير بن عبد الله البجلي: (يا جرير إذا قلت فأوجز، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف) (٤٧)، ومن هنا فقد غلب على كلامه الإيجاز، وإذا كان الإيجاز أصلاً في بلاغات اللغات فإنه في البلاغة العربية أصل وروح وطبع. وقد بين الأستاذ أحمد حسن الزيات سبب شيوع الإيجاز في أسلوب النبي ﷺ قائلاً: (لأن الإيجاز قوة في التعبير وامتناء في اللفظ وشدة في التماسك، وهذه صفات تلازم قوة العقل وقوة الروح وقوة الشعور وقوة الذهن، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكون في الرسول ﷺ، ومن هنا شاعت جوامع الكلم في خطبه وأحاديثه حتى عدت من خصائصه (٤٨).

كان النبي ﷺ يبدأ الحديث بأسلوب مشوق يثير الانتباه ويعد السامع إلى استماع الكلام ويوقظ وعي الإنسان، فعن معاذ بن جبل قال: بينا أنا رديف رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرجل، فقال: يا معاذ! قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ! قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على عباده! قلت: الله ورسوله أعلم! قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل! قلت لبيك رسول الله وسعديك: قال هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال حق العباد على الله أن لا يعذبهم (٤٩). كان النبي حريصاً أشد الحرص على تعليم أمته ما يعود إليها من مسؤوليات دينها وشريعتها، ثم ما لها من أجر وثواب عند الله سبحانه وتعالى إذا كانت هي قد أدتها حق أدائها، فكان رسول الله ﷺ يستخدم لذلك الأساليب المشوقة تعد السامع إليه من الكلام للإصغاء إليه لكي يكون أوقع في النفس وأشد أثراً وتأثيراً في القلب (٥٠).

مراعاة التسلسل المنطقي للفكرة

كان الرسول ﷺ يراعي التسلسل المنطقي للفكرة، وترتيب المعاني بعضها على بعض، والانتقال من المقدمة إلى النتيجة، والعنصر المترتب على عنصر سابق، والجزئية في الموضوع تسلم إلى جزئية أخرى في تتابع وتدرج منطقي مقنع، وفي أسلوب يتلقاه السامع بالرضا والقبول، إن المتأمل في الكلام النبوي ﷺ يجد تلاؤم أجزاء الموضوع والانسجام التام بين مكونات النص البياني، والتسابق المحكم بين مفردات النص ومحتواه. كما جاء في الحديث "أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: ائذن لي في الزنا، فأقبل القوم فزجروه، فقالوا: مه مه، فقال e: ادنه، فدنا منه قريباً، فقال: أتعبه لأملك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أتعبه لابنتك؟ قال: لا، والله: يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبون لبناتهم، ثم ذكر له رسول الله ﷺ أخته وعمته وخالته، وفي ذلك يقول الفتى مقالته: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه (٥١).

المنطق الوجداني

ومن الأمثلة على استخدام المنطق الوجداني في كلام الرسول ﷺ ما ورد عن النواس بن سمعان قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم، قال: البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكهرت أن يطلع عليه الناس. ومثل ذلك ما ورد عن وابصة بن معبد قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: جئت تسأل عن البر؟ قلت نعم، قال: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس (٥٢).

التوازن في الفكر والعاطفة

إن الرسول ﷺ كان متوازناً في الفكر والعاطفة، والموسيقى اللغوية ظاهرة شائعة في أسلوب النبي ﷺ. يقول الرسول ﷺ: من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه (٥٣) "ما أروع هذا الحديث، وما أرق موسيقاه الداخلية، وما أشد التلاحم بين أجزائه، إنك حين تقرأه تشعر أنك تطوف في رياض نضرة مزينة بالورود، وأنت تسير في رحابها في هدوء وسكينة، فمعاني هذا الحديث يضيق المقام عن بسطها وتفصيلها، وألفاظه عليها مسحة من الرقة والتناغم والتلاحم فيما بينها.

مصطفى صادق الرافعي وفصاحة الرسول ﷺ

وكما يقول الرافعي كتبت على الفصحاء فما يكاد يسلم منها أحد، ذلك أنهم يؤتون من جهة النفس في ضعفها أو اضطرابها، أو غفلتها، أو ما أشبه ذلك من حال تعتري، وعرق ينزع، وهي خصال لا تكون لأنفس الأنبياء صلوات الله عليهم (٥٤). تكاثرت الأخبار الصحيحة التي تكشف نوح النبي ﷺ وموقفه من البيان، فكان يكره التكلف في كل شيء وبخاصة التكلف في الكلام فقال: هلك المتنطعون (٥٥) والتنطع في الكلام: التعمق فيه، والتفصيح. وقال: أمرت أن أتجوز في القول فإن الجواز هو خير (٥٦)، كما عرف عنه إنكاره على من يتكلفون السجع في الكلام، أما كلامه ﷺ فهو الطبع الخالص لا يتكلف القول، ولا يعتمد إلى تزيينه بل هو عفو البديهة، ووحى الفطرة ولسان الطبيعة، اتفق على ذلك من كتب في الأدب العربي، ونظر في الحديث النبوي، فلا حرج علينا أن نسعى هذا منهج النبي البلاغي أو مذهبه البياني (٥٧) ومن هنا فقد كان يقدر الكلمة ويدعو إلى صدقها وصوابها، سئل، ما الجمال؟ فقال: في اللسان (٥٨)، وقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً، أو ليصمت (٥٩)، بل كان ينفر من بعض الكلمات التي لا توائم الذوق الفطري، قال لصحابته: لا تقولوا: دع، دع، ولا لع لع، ولكن قولوا: اللهم ارفع وانفع (٦٠) وقال: لا يقول أحدكم خبث نفسي ولكن ليقل لقصت نفسي كأنه كره أن يضيف المؤمن الطاهر إلى نفسه الخبث والفساد بوجه من الوجوه، كما كره للمسلم أن يقول: كسلت، لأن المنافقين وصفوا بالكسل في القرآن الكريم (٦١).

عباس محمود العقاد وفصاحة الرسول ﷺ

ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد: كان محمد ﷺ فصيح اللغة، فصيح اللسان، فصيح الأداء، كان فصيحاً مبلغاً على أسس ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية، وكان بلسانه وفواده من المرسلين (٦٢). فكلامه على جهة الصناعة

اللغوية والبيانية مسدد اللفظ محكم الوضع، جزل التركيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فحم الجملة واضح الصلة بين اللفظ ومعناه وضرهه في التأليف والتنسيق، ثم لا ترى فيه خرمًا مضطربًا ولا لفظة مستدعاة لمعناها، أو مستكرهه عليه، ولا كلمة غيرها أتم منها أداء للمعنى وتأنيًا لسره في الاستعمال، وهذا نراه في الصناعة اللغوية، أما من ناحية الصناعة البيانية حسن المعرض بين الجملة، واضح التفصيل بديع الإشارة غريب للمحة، ناصح البيان، ظاهر الحدود، جيد الرصف ممكن المعنى، واسع الحيلة في التصريف ثم لا ترى فيه إجمالة ولا استكرهه، ولا ترى استعانة من عجز ولا توسعًا من ضيق، ولا ضعفًا في وجهه من الوجوه وغيرها من سمو المعنى، وفصل الخطاب، وحكمة القول، ودنو المأخذ وإصابة السر(٦٣).

والرسول ﷺ نبي ورسول، يصوغ الحقائق الإنسانية، ويقررها شريعة وعاطفة وعملاً، ويتعمق النفس البشرية، ويرسم لها ما يبصرها، ثم هو متصل بمصدر الطبيعة الأزلي، لا يستملي منها وإنما يملئ فيها، هو إذن طبيب البشرية أينما كانت، وأسلوبه يتنزل برذاً وسلاماً عليها، متى كانت وهو بهذا المفهوم أسلوب عصري، لأن الأسلوب الذي يخرج من الفطرة المستقيمة كما يقول العقاد هو أسلوب عصري في جميع العصور(٦٤). وأن ثقافة النبي ﷺ مرجعها إلى ربه ووحيه، وكفى بالقرآن دليلاً على أنه النبي الأمي الذي علم البشرية. ويقول الأستاذ الرافي: ولأمر ما كان كلام النبوة خالداً، كأنه قيل في كل عصر لأهله وقبيلته، وكأن هذا الزمان إنما هو شاهد يجيء بالبيئة على صحة تأويله(٦٥).

فصاحة الرسول ﷺ ونسبه

أولاً: النسب والنشأة وأثرهما في الفصاحة والبلاغة النبوية فأمر لا يحتاج الى بيان، لم يختلط عليه الصلاة والسلام طول حياته بقوم خارجين عن رفعة البيان، فأتيح له نشأة متميزة هيأت جواً ملائماً لنمو الموهبة. وقد قال ﷺ: ”إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم(٦٦)، فأنا خيار من خيار من خيار(٦٧).

فهو ”المصطفى“ من قوم كلهم سادة قادة في الأريحية والكرم، واللسان والبيان، ولم يعلم أن واحداً من آبائه ﷺ كان عيباً أو منقوص البيان. بل أن النبي ﷺ قد أطلق القول: ”أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر(٦٨)، وهو قول أرسله في العرب جميعاً، والفصاحة أكبر أمرهم والكلام سيد عملهم، فما دخلتهم له حمية، ولا تعاضهم ولا ردوه، ولا غصوا منه، ولا وجدوا إلى نقضه سيلاً، ولا أصابوا للتهمة عليه طريقاً، ولو كان فيهم أفصح منه لعارضوه به ولأقاموه في وزنه ثم لجعلوا من ذلك سبباً لنقض دعوته والإنكار عليه، غير أنهم عرفوا منه الفصاحة على أتم وجوهها وأشرف مذهبها، ورأوا له في أسبابها ما ليس لهم، ولا يتعلقون به ولا يطبقونه وأدنى ذلك أن يكون قوي العارضة، مستجيب الفطرة، ملهم الضمير متصرف اللسان، يضعه من الكلام حيث شاء، لا يستكرهه في بيانه معنى، ولا يندب في لسانه لفظ، ولا تغيب عنه لغة ولا تضرب له عبارة، ولا ينقطع له نظم ولا يشوبه تكلف ولا يشق عليه منزع، ولا يعتريه ما يعتري البلغاء في وجوه الخطاب وفنون الأقاويل من التخاذل وتراجع الطبع، وتفاوت ما بين العبارة والعبارة، والتكثر لمعنى بما ليس منه والتحيف لمعنى آخر بالنقص فيه، والعلو في موضع والنزول في موضع، إلى أمثال أخرى لا نرى العرب قد أقرؤا له بالفصاحة إلا وقد نزه ﷺ عن جميعها وسلم كلامه منها وخرج سبكه خالصاً لا شوب فيه، وكأنما وضع يده على قلب اللغة ينبض تحت أصابعه،

ولو هم اطلعوا منه على غير ذلك أو ترامى كلامه إلى شيء من أصداد هذه المعاني، لقد كانوا أطالوا في ردّ فصاحته وعرضوا، ولكن ذلك مأثوراً عنهم، دائراً على ألسنتهم، مستفيضاً في مجالسهم ومناقلاتهم، ثم لردّوا عليه القرآن ولم يستطع أن يقول في تلاوته وتبيينه، ثم لكان فيهم من يعيب عليه في مجلس حديثه ومحاضرة أصحابه، أو ينتقص أمره ويغض من شأنه، فمن القوم خلص لا يستجيبون إلا لأفصحهم لساناً، وأبينهم بياناً، وخاصة في أول النبوة وحدثان العهد بالرسالة، فلمّا لم يعترضه شيء من ذلك، وهو لم يخرج من بين أظهرهم، ولا جلا عن أرضهم ورأينا هذا الأمر قد استمرّ على سنّته واطرد إلى غايته، وقام عليه الشاهد القاطع من أخبارهم كما ستعرفه، علمنا قطعاً وضرورة أنه ﷺ كان أفصح العرب، وافيّاً بغيره، كافياً من سواه، وأنه في ذلك آية من آيات الله لأولئك القوم (٦٩)، وكذلك يُبَيِّنُ الله آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٧٠). وأن محمداً ﷺ كان هو أفصح العرب، وكان له في هذه الفضيلة البيانية المقام الأول غير مزاحم، فذلك ما لا يمار بل لا يمتري فيه أحد ممن يعرف العربية، وقال الجاحظ: "كان إذا احتاج إلى بلاغته كان أبلغ البلغاء وإذا احتاج إلى الخطابة كان أخطب الخطباء (٧١)".

فصاحة الرسول ﷺ وبيئته

ثانياً: هذه النشأة اللغوية النقية في أحضان البادية، وبين أفصح القبائل فكان مولده في بني هاشم، وأخواله في بني زهرة، ورضاعه في بني سعد بن بكر، ومنشؤه في قريش، ومتزوجه في بني أسد، لم يخرج عن هؤلاء في النشأة واللغة، ولقد كان في قريش وبني سعد وحدهم ما يقوم بالعرب جملة، ولذا قال ﷺ: "نشأت في بني سعد بن بكر (٧٢)" فكان له من اللسان العربي أفصح وأبلغه بهذه النشأة البدوية القرشية الخالصة (٧٣)."

فصاحة الرسول ﷺ ونظرته الصائبة

ثالثاً: موهبته ﷺ التي تتمثل في فطرة صافية، ونفس مجتمعة فاضلة، مع صفاء الحس، ونفاذ البصيرة، واستقامة الأمر كله. ولقد أذكى هذه الموهبة دوام الفكر، وطول السكوت، وحب الخلوة التي كانت له أعظم مربّ، فقد صَفَّتْ قلبه من كل مشاغل هذا العالم، وفي الصحراء اتصلت أسرار الطبيعة بأعماق نفسه، وغمرته في قوة، فانطلقت شفتاه بهذه الحقائق الخالدة التي انتزعت من "كارليل" المفكر الإنجليزي المشهور صيحة الإعجاب التي يقول فيها: "حقاً إن أحاديث هذا الرجل قد صدرت مباشرة عن قلب الطبيعة ومن الطبيعي أن تجذب أفئدة بني البشر فيستمعوا إليها ويجب أن يستمعوا إليها أكثر مما يستمعون إلى غيرها، فكل ما عداها هباء إذا قورن بها" (٧٤).

فصاحة الرسول ﷺ وصلته بالإلهام

رابعاً: الإلهام والتعليم والتلقي من الله تعالى، ذلك أن الله تعالى ابتعثه في العرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم ثم هم مختلفون فصاحة وبياناً ومناهج قول إلى ما كان من اشتراك اللغات وانفرادها، وتخصيص بعض القبائل بأوضاع وصيغ مقصورة عليهم، فكان من تمام البلاغة وكمال الحجة أن يخاطب كل قوم بلحنهم، وعلى مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطاباً، وأشدهم لفظاً وأبينهم عبارة، ومثل هذا لا يكون إلا عن تعليم وتلقين أو رواية عن أحياء العرب حتى يفتلي لغاتهم ويتبع مناطقهم. وهذا رأي مشتهر عن الأقدمين كمجد الدين بن الأثير، والقاضي عياض، والسيوطي وغيرهم، من قول الرسول ﷺ نفسه "إنّ لغة إسماعيل قد درست فأتاني بها جبريل فحفظنيها (٧٥)"، وقال أبو بكر لرسول الله ﷺ: لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك

فمن أدبك (أي علمك)؟ فقال: "أدبني ربي فأحسن تأديبي (٧٦)"، وقوله مثل ذلك لعلني أيضاً، ثم قوله: "أنا أفصح العرب (٧٧)" وربيت في بني سعد أي خير من كفل في صغره وأرضع وربي حتى نشأ وكان مسترضعا في بني سعد بن بكر (٧٨)" وما كان من هذا المعنى لأنه يستحيل أن يكون مع أحد من ذلك الذي بيناه ما خص الله به نبيه إذ لا استحالة راجعة إلى الطبع والجلبة وخلق الفطرة، منها لا تتغير في الناس إلا أن يخرق الله به العادة على وجه المعجزة ليقضي أمراً من أمره، وأنى لامريء بذلك من العرب غير النبي ﷺ. وسواء كان مصدر السنة وليد تفكير ورؤية ومشاورة كشتون الحرب والسلام أم كان وحي الخاطر وإرسال البديهة كالعديد من شئون الحياة، أم كان بعد تلبث يسير انتظاراً للوحي، وهذا المتبادر من قوله ﷺ: "أوتيت الكتاب ومثله معه (٧٩)" قد تكررت الحكمة بمعنى السنة مقرونة بالكتاب في القرآن الكريم: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (٨٠).

خامساً: قلبه النقي التقى، فهو قلب متغلغل في الطهر متصل بالله عز وجلّ لذا فهو ينبض بأشرف المعاني وأزكى وأظهر الفكر يبعثها إلى ذلك اللسان الفصيح ليرجمها كلاماً باعثاً للحياة في النفوس. سادساً: عقل ذكي متوقد وذهن حاد وبصيرة نفاذة إلى بواطن الأمور فلا يمر على خاطره إلا معنى جليل عظيم عار من الخطأ مترفع عن سفاسف الأفكار.

سابعاً: التأيد الإلهي المحكم، وهذا التأيد يعصمه من العيوب لذا تجد كلامه في أعلى وأرفع رتب البيان. فصاحة الرسول ﷺ وتأثيرها بالقرآن الكريم

ثامناً: أمر آخر يلحق بسابقه وهو تأثر النبي ﷺ بالقرآن الكريم في بيانه المعجز، وهذا التأثير في الواقع خط مشترك بين الأدباء والشعراء العرب إلا أنه أبين وأظهر في الرسول ﷺ لأنه أبلغ الناس، فهو أقدرهم على فهم الوجوه البلاغية في أسرار الإعجاز الإلهي، ثم إن القرآن معجزته التي نزلت عليه يرثه تراثاً، متعبداً متأثراً يزن كل آية بميزان دقيق، بحيث يشرق له من الدلائل وآيات الإعجاز وما يهز وجدانه، ويصير خشوعه حين يتلوه، وحين يسمعه من سواه. لسان صقلته روائع البيان القرآني فصار ينطق بأنصع الألفاظ وأرشق التراكيب وأحكم المعاني وكيف لا وهو لسان يدارس جبريل عليه السلام آيات التنزيل. وقال رسول الله ﷺ في يوم دجن: كيف ترون بواسقها؟ قالوا: ما أحسنها، وأشد تراكمها، قال كيف ترون قواعدها؟ قالوا: ما أحسنها وأشد تمكناها، قال: كيف ترون جوفها؟ قالوا: ما أحسنه وأشد سواده، قال: كيف ترون رجاها استدارت؟ قالوا نعم ما أحسنها وأشد استدارتها، قال: كيف ترون برقها أخفياً أم وميضاً أم يشق شقاً؟ قالوا: بل يشق شقاً. قال: الحياء، فقال رجل: يا رسول الله: ما أفصحك ما رأينا الذي هو أعرب منك. قال: حق لي، فإنما أنزل القرآن عليّ بلسان عربي مبين (٨١). وعن عبد الله بن عمر قال: قال النبي ﷺ: أنا محمد النبي الأمي، لا نبي بعدي، أوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة، وحملت العرش (٨٢). وإذا كان فن العبريين هو أساس الكلام الإنساني لما خصوا به من هذه التهيئة (تهيئة الجهاز الصبي للاتصال بعالم ما فوق الطبيعة) فإن فيه ﷺ يكون ولا جرم من باب الأكبر، مما هو أكبر في إلهام الإنسانية كلها. وهذا حق فالنبي الكريم مع ربه دائماً، والوحي متصل بين السماء والأرض، والنبع المشرق يتفجر دائماً بالبيان العظيم. فإذا أضيف إلى ذلك أن نبينا ﷺ كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة وإذا تكلم لا يسرد سرداً، بل فصل ورتل، وأبان وأحكم، بحيث تخرج كل لفظة وعليها طابعه من النفس،

علمنا أن هذا المنطق وذاك البيان النبوي لا يشاركه منطق، ولا يساميه بيان (٨٣).

خلاصة الكلام

يتوصل ويثبت من خلال المقالة أنّ كلام رسول الله ﷺ ينفرد بعدم الهبوط والإسفاف، فكل كلامه فصيح وبليغ يراعي فيه مقتضى الحال، بينما يتردد كلام الآخرين من فصحاء وبلغاء العرب بين الارتفاع والهبوط أو الخطأ أحياناً أخرى. واهتم الرسول ﷺ بالعوامل والقيم النفسية والشعورية، والاستفادة من إرثاف الحق عند العرب وتأثرهم بسحر البيان بغرس القيم الإسلامية والأفكار المحبة في نفوس الناس. إن الرسول ﷺ كان يوظف ظروف السامع فما من ظرف يناسبه بيان الآ وبينه عليه الصلاة والسلام. ترك الرسول ﷺ كماً كبيراً من الأحاديث التي أرى أنّها كانت وما زالت وتبقى معيناً ثراء، لا ينضب لفرسان البلاغة كما هو العلماء والباحثون في الشرع الشريف. يهتم الرسول ﷺ بتكوين الشخصية الإسلامية الكاملة المهيبة لأجل غرس القيم الإسلامية العليا في النفوس والعناية بتهديب الأخلاق والتخلي بمكارمها والتخلي عن رذائلها. كلام النبي ﷺ تزيد شهادة الذوق العربي السليم فالحقائري لأحاديث النبي ﷺ لها حلاوة في نفسه ونوراً في قلبه وانشراحاً في صدره، ومهما زدت من قرأت الأحاديث وأمعنت النظر فيها فلن يتطرق إلى ذهنك ذرة من الملل.

الهوامش

- (١) الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين، ٢٦١/٨، ١٧/٢، ط: ٥، تحقيق عبد السلام هارون، ١٩٦٩م، دار العلم للملايين، بيروت.
- (٢) هم بنو سعد بن بكر، وكانوا من العرب الضاربة حول مكة، وكان أطفال القرشيين يتبدون ويرسلون فيهم وفي غيرهم يطلبون بذلك نشأة الفصاحة. ولا يزال كبراء مكة إلى اليوم يرسلون أحداثهم إلى أماكن هذه القبائل من البادية وخاصة إلى قبيلة عدوان في شرق الطائف وهي قرية من بني سعد، وإنما يطلبون بذلك إحكام اللهجة العربية، وصحة النشأة، وحرية النزعة، وما إليها مما هو الأصل في هذه العادة يتوارثونها في التربية العربية من قديم. والزواة جميعاً على أن بني سعد بن بكر خصّوا من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان. (الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٩٦-١٩٧، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، دارالكتاب العربي، بيروت، لبنان).
- (٣) الأحزاب: ٤٥، ٤٦.
- (٤) الإسراء: ٨٨.
- (٥) العسكري، أبو هلال حسن بن عبد الله، الصناعتين الكتابة والشعر، ٦/١، تحقيق علي محمد البيضاءوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، المكتبة العصرية، بيروت.
- (٦) الطبراني، سليمان بن أحمد، مسند الشاميين، ١٣٧/٢، رقم الحديث: ١٠٦١، ط: ١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- (٧) البوطي، سعيد رمضان، في الحديث الشريف والبلاغة النبوية، ص ٤٧، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- (٨) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والبتين، ١٧/٢، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، لبنان.
- (٩) السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة والأدب، ١/١٦٥، ط: ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، تحقيق: فؤاد علي

منصور، دار الكتب العلمية، بيروت.

- (١٠) الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية، ٣٠/١، سنة النشر: ١٤٠٠هـ، دار المعرفة، بيروت.
- (١١) بخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ١٣٠٧/٣، رقم الحديث: ٣٣٧٥، ط: ٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.
- (١٢) الترمذي، محمد بن عيسى، السنن، ٦٠٠/٥، رقم الحديث: ٣٦٣٩، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (١٣) السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود، السنن، باب الهدى في الكلام، ٢٦١/٤، رقم الحديث: ٤٨٣٩، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- (١٤) بخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ١٣٠٧/٣، رقم الحديث: ٣٣٧٤.
- (١٥) النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين، ١١/٣، رقم الحديث: ٤٢٧٤، ط: ١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (١٦) الشافعي، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ١٢/٤، ١٩٩٥م، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت.
- (١٧) الترمذي، محمد بن عيسى، الشمائل المحمدية، ١٨٤/١-١٨٥، رقم الحديث: ٢٢٥.
- (١٨) الترمذي، الشمائل المحمدية، باب كيف كان كلام رسول الله ﷺ، ١٨٤/١-١٨٥، رقم الحديث: ٢٢٦، ط: ١، ١٤١٢هـ، تحقيق: سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- (١٩) مسلم، الصحيح، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٥٩٢/٢، رقم الحديث: ٨٦٧، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء التراث العربي، بيروت.
- (٢٠) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء، ٢٣٢/٤، ط: ٤، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- (٢١) الحنظلي، إسحاق بن إبراهيم، مسند اسحاق بن راهويه، ٣٦٥/١، رقم الحديث: ٣٧٤، ط: ١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة.
- (٢٢) العقاد، عباس محمود، عبقريّة محمد ﷺ، ص ٧١، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة.
- (٢٣) ابن الجوزي، الوفاء بأحوال المصطفى، ٤٠٦/٢، تحقيق: محمد زهري النجار، المكتبة السعيدية، الرياض.
- (٢٤) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، كتاب الاطعمة، ١٤٠٧/٥، ٢٧٧هـ، دار الريان للتراث دار الكتاب القاهرة، بيروت.
- (٢٥) الطبراني، المعجم الكبير، ١٦٩/١٧، رقم الحديث: ٤٣٧، ط: ٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م، تحقيق حميدي عبد المجيد، مكتبة الزهراء، الموصل.
- (٢٦) الزيلعي، عبد الله بن يوسف، نصب الرأية، ٤٦١/٢، تحقيق محمد يوسف البنوري، ١٣٥٧هـ، دار الحديث مصر.
- (٢٧) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ٢١٦-٢١٧. تفسير هذا الكتاب على نسق ألفاظه: الأقيال جمع قيل، وهو الملك من ملوك حمير وحضرموت. والعباهلة المقرون على ملكهم فلم يزالوا عنه. والأروع الذين يرعون بالهبة والجمال. والمشاييب جمع مشبوب، وهو الجميل الزاهر اللون، والتية: أربعون شاة. تطلق على أدنى ما تجب فيه

الصدقة من الحيوان والمقورة الألياط: أي المسترخية الجلود. والضناك: الموثقة الخلق السمينة، يريد أن شاة الصدقة لا تكون من المهازيل ولا من الكرائم، بل تكون وسطاً وهو المراد بقوله وانطوا الثبجة أي أعطوا بلغتهم، اذ يدلون العين نوناً، والثبجة: الوسط، ومنه ثبج البحر. والسيوب جمع سيب، وهو العطية، والمراد به الركاز وهو دفين الجاهلية ومم بكر، ومم ثيب: أي من بكر، ومن ثيب، وهي لغتهم في إبدال النون ميما الصفح: الضرب والاستيفاص: النفي والتغريب. والأضاميم: الحجارة الصغار، والتوصيم: الفتره والتواني. ويترفل: أي يتأس، وتروى في هذا الكتاب بزيادات غريبة.

- (٢٨) بخاري، الصحيح، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ ربنا آتانا في الدنيا حسنة. ٢٣٤٧/٥، رقم: ٦٠٢٦.
- (٢٩) القشيري، مسلم بن الحجاج، الصحيح، ٣٧١/١، رقم الحديث: ٥٢٣، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء التراث العربي، بيروت.
- (٣٠) الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد، شرح الطيبي على مشكوة المصابيح المستقى بالكاشف عن حقائق الستن، ٣٥٦/١٠، ط: ١، ١٤١٧هـ. ١٩٩٧م، تحقيق: عبد الحميد هنداي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض.
- (٣١) بخاري، الصحيح، كتاب التعبير، باب ثياب الحرير في المنام، ٢٥٧٣/٦، رقم الحديث: ٦٦١١.
- (٣٢) الأزدي، معمر بن راشد، الجامع، ١١٤/١١، رقم الحديث: ٦٦١١، ط: ٢، ١٤٠٣هـ، تحقيق: حبيب الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- (٣٣) ابن حبان، محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، ٢٣١/٢، رقم الحديث: ٤٨٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط: ٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- (٣٤) البخاري، الصحيح، كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: وهو ألد الخصام، ٨٦٧/٢، رقم: ٢٣٢٥.
- (٣٥) أبو داود، السنن، ١٧٨/١، رقم الحديث: ٦٦٤.
- (٣٦) الزمخشري. الفائق في غريب الحديث والأثر، باب الباء مع العين، ١١٩/١، ط: ٢، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.
- (٣٧) ص: ٨٦.
- (٣٨) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح النووي على صحيح المسلم، ٢٢٠/١٦، ط: ٢، ١٣٩٢هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- (٣٩) الطيالسي، سليمان بن داود، المسند، ٣٠٣/١، رقم الحديث: ٢٣١، دار المعرفة، بيروت.
- (٤٠) البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على القتال وقوله تعالى: حرض المؤمنين على القتال، ١٠٤٣/٣، رقم الحديث: ٢٦٧.
- (٤١) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد، ٤٨٩/٦، ١٣٨٧هـ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإدارية، المغرب.
- (٤٢) البخاري، الصحيح، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، ٨٤٨/٢، رقم الحديث: ٢٢٧٧.
- (٤٣) الدكتور الحبر يوسف نور الدائم (استاذ اللغة العربية بكلية الآداب)، مقالة على عنوان: من سمات الحديث النبوي، السبت ١٤ جمادى الثانية، ١٤٢٥هـ-٣١ يوليو ٢٠٠٤م، جامعة الخرطوم.
- (٤٤) ق: ١٨.

- (٤٥) النيشاءوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، ٤٤٧/٢، رقم الحديث: ٢٥٤٨، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: ١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٤٦) بخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ٢٣٧٧/٥، رقم الحديث: ٦١١٢.
- (٤٧) المنجد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، ٤٣/١، تحقيق: د عبد الحميد هنداي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- (٤٨) الزيات، دفاع عن البلاغة، ١٣٠، ط: ٢، ١٩٦٧، عالم الكتب، القاهرة.
- (٤٩) بخاري، الصحيح، كتاب اللباس وقول الله تعالى: قل من حرم زينة الله، باب ارداف الرجل خلف الرجل، ٢٢٢٤/٥، رقم الحديث: ٥٦٢٢.
- (٥٠) همداني، الدكتور كفايت الله، المحاسن الأدبية في أدعية النبوة، ص: ٣٠٦، بحث لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية في قسم اللغة العربية وآدابها جامعة بنجاب لاهور، باكستان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- (٥١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الخصائص الكبرى، ٢٨٤/٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٥٢) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، السنن، ٣٢٠/٢، رقم الحديث: ٢٥٣٣، ط: ١، ١٤٠٧هـ، تحقيق: فواز احمد زمري، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- (٥٣) مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ١٠٥٥/٢، رقم الحديث: ١٤٣٢.
- (٥٤) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٣٣٠.
- (٥٥) أبو يعلى، أحمد بن علي، المسند، ٤٢٤/٨، ط: ١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، دار المأمون للتراث، دمشق.
- (٥٦) السجستاني، سليمان بن أشعث، السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في التشديق في الكلام، ٣٠٢/٤.
- (٥٧) سيد نوفل، الدكتور، البلاغة العربية في دور نشأتها، ص ٥٨-٦٠، ط: ٣، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- (٥٨) العسقلاني، احمد بن علي بن حجر، تلخيص الحبير، ٢٧/٤-٢٨، رقم الحديث: ١٧٠٨، تحقيق: السيد عبد الله هاشم، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤، المدينة المنورة.
- (٥٩) البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ٢٢٤/٥، رقم الحديث: ٥٦٧٢.
- (٦٠) السيوطي، جلال الدين، المزهري في علوم اللغة، ٥٦/١، ط: ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٦١) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف، ٢٧٤/٢، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٦٢) العقاد، عبقرية محمد ﷺ، ص ٢٩١، دار نضضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.
- (٦٣) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٣٢٤.
- (٦٤) العقاد، عباس محمود، عبقرية محمد ﷺ، ص: ٧٨.
- (٦٥) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٧٣.
- (٦٦) الشيباني، أحمد بن حنبل، المسند، ١٠٧/٤، رقم الحديث: ١٧٠٢٨، بدون الطبع، مؤسسة قرطبة، مصر.

- (٦٧) العسقلاني، احمد بن حجر، الأمالي المطلقة، ٦٨/١، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد اسماعيل السلفي، ط: ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، المكتب الإسلامي، بيروت.
- (٦٨) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، ١٠٧/١، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة.
- (٦٩) الرافعي، اعجاز القرآن البلاغة النبوية، ص: ١٩٦-١٩٧.
- (٧٠) البقرة: ١٨٧.
- (٧١) الجاحظ، البيان والتبين، ٥٧٥/١، تحقيق: فوزي عطوي، دارصعب، بيروت.
- (٧٢) العسقلاني، تلخيص الحبير، ٦/٤، رقم الحديث: ١٦٥٨.
- (٧٣) العقاد، عباس محمود، عبقرية محمد ﷺ، ص ٢٢.
- (٧٤) اتين دينيه (سليمان بن ابراهيم)، محمد رسول الله ﷺ، ترجمة دكتور عبد الحليم محمود ص ١٠٦، ط: ٣، دار المعارف، القاهرة.
- (٧٥) الهندي، كنز العمال، ٩/٢، رقم الحديث: ٢٩٦٣، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، ط: ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٧٦) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير، ٢٢٥/١، ط: ١، ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- (٧٧) العراقي، أبو الفضل، المغني عن حمل الأسفار، ٦٣٥/١، رقم الحديث: ٢٣٨٦، ط: ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، تحقيق: أشرف مقصود، مكتبة طبرية، الرياض.
- (٧٨) الجزري، أبوالسعادات مبارك بن محمد، النهاية في الأثر، ١٩٢/٤، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
- (٧٩) أحمد بن حنبل، المسند، ١٣٠/٤، رقم الحديث: ١٧٢١٣.
- (٨٠) النساء: ١١٣.
- (٨١) الهندي، كنز العمال، ٦٩/٦، رقم الحديث: ١٥٢٤٧، ط: ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٧٢) الهندي، علاء الدين علي المتقي، كنز العمال، ١٠٨/١، رقم الحديث: ٩٦١.
- (٧٣) ناصف، منصور علي، التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، ٢٣٦/٣، ط: ٣، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، دار احياء التراث العربي، بيروت.

